عبد الله راجع

كتاب الخروج من بحر الظلمات

سانية المنصوري

لِسَلَا انفجارُ البرقِ والزمن المحمَّل بالكتابهْ
لِسَلَا الجفونُ توسَّدت عنق السحابهْ
ولها النبوءة حين تنتقل الشموعُ وتختفي
ترتاحُ عاماً كي تحركَها السواعِدُ من جديدْ
ولها صهيلُ البرقِ بين سحابتين
لَهَا الفصولُ تجيء مثقلةً برائحة الحصير وتختفي
لم ينقلوكَ على الخيولِ
تحركتْ بكَ جارةٌ زرقاء عبر «الصيف»
كنت ترى المدينةَ من خلال قضيبِكَ المقصوص
تهلثُ خلْفَ أنغامِ الربَابهْ
وترى الحوانيت التي عرفتك تَغْرَقِ
في التساؤُلِ والإجابهْ
من قَال إن سَلَا تخون البحْرَ ؟
من قال امتشاقُ عيونها يهبُ الدُّمُوع ؟
ومن سَوَّاك قافلةً من النَعَرَاتِ تنغلُ
في تضاريسِ الكِتَابَهْ

يتقدم في كيمياته، فاتحا صدره لطعنة وسيمة، ذلك الرجل الموزع بين خطين خاتقين، لم يمنح دهشته طعم العشب ولكن حين اتوا رابط في دهشته فاخضرت صار لها مذاق اشبه بالاصوات المذبوحة ذلك الرجل الموزع بين فاتحين اثنتين.

لم تحترفْ همّاً، ولكن التردُّد بين دكّان الخياطةِ والمسيدْ
بين امتهان «البرشمان» وبلع بعض زعانف الاسماكْ

وَهَبَ احتقانكَ بالهمومِ براءةً
ورماكَ للزمن البعيْدْ
يا ايها الفرسُ المدجَّجُ بالحروفِ وبالرحيلْ
منْ قال إن لديك فاكهةً مؤجلة
ومن اوصاك بالصوتِ الجميلْ ؟
حُملت اليك زهافةُ الملحون، حتى حينَ صيّرتَ العا
شقَ المقتولَ قلت : حبيبتي لن تخلع الخلخال والدمليجْ
خَدَعَتْكَ نافذةٌ تطلُّ على التواشي السبع، نافذة
تغادرها لتغرقَ في زمانٍ سوفَ يأتي أمس
نافذةٌ من الحلُم المطل على المتاهُ
وأتيتَ هذا الطينَ كي تجدَ التآمكَ في سِوَاهْ !
لِسَلَا البحارُ، لها امتداد الحلمِ
كيفَ اذن تجر الخطوَ من بابِ الخَميسِ الي شبابيكِ ابْ
نِ عاشِرَ كي ترى مُدُناً واضرحة تسافرُ
كي ترى الافقَ المحملَ بالبخور يمد اجنحة ويرحلُ
ايها الولدُ المدجج بالصهيلْ
ولك الحروفُ تجمعت فنبست حتى لا تطيلْ

وحدك ترتقي الآجر، متشحا بالشيق من طغات الغدر، ووحدك تأتي جامعا شعرك المنفوش داخل قبعة، تسرق البرق وتطلقه، اي ريح عودتك الصمت ايها المولع بتأسيس الهدم ؟ ومن اين تأتي النائحات يعجن الغناء بالمراثي، هذا مساء مشاكس، والطيور التي ثقبت منائرها الغمام تجيء محملة بالرغبة في اقتناص بكاء ينفرد الصلصال فيه بصورته.

هل تذكرُ طعم التين الشوكي ؟ انتظرتْ عيناكَ
بَريقَهُما زمنا كي تعرف ان جنودا قتلوا
تحت العلم النابضِ بالازرق والابيض والأحمرْ
وانتظرتْ شَفتاك حديثها زمناً كي تعرف
ان الباقين انتقلوا من رُتَبِ الجيش الى عربات التين الشوكيِّ
فهل تذكر ياشكدالي
يومَ افاقوا قبل الفجر ليمتلىء البيتُ برائحة القهوة والحلوى

اخذوكَ من النوم الى صدر عريف لم تتبين
في الليل خرائطَ عينيه، ولم تلمسْ الا الخوذة
والشَّعَر الممتدَّ مِنَ الانف الى الذقن، فهل تذكر ياشكدالي
في زمن ما ولديكَ من الهم سلال،
جاءوك، اكتشفوا انك لم تفعل شيئاً
كتبوا اسمكَ في بعض دفاترهم، وارتحلوا
ثم أتوا ثانية
اخذوك الى ثكنات لم تألفْ احداهَا الا نقلوكَ الى الأخرى
ستَّةَ ارقامٍ صرتَ، على جسد ينغل بالعشقِ
وبعضُ رسائلٍ من احببتَ تحيلكَ مثقلةً بحنان تعرفهُ
ونفورٍ لم تعرفها
كانت فترات حراستك الليلية عامرةً بالأوجه والكلمات المختارةْ
بصفوفٍ تتحرك من باب المعهد حتى مبنى البلدية
بالايدي، برصاص، وحجارةْ
بخطاب مطويٍّ في الجيب، أصفرٍّ، بأسلاك الهاتفْ
بالتفتيش، بكف امرأة تسرق جسمك من بين بنادقهمْ
حتى ارتحلُوا، بيد مَشَطَّتْ شعرك ذات مساءْ
وَهَبَتْكَ استرجاءَ صبيٍّ
فاختلطَ العشقُ لديك بصمت وبكاء

قال المجنون : انطلقت اصوات القراء تخيط الآية بالآية، وانزلقت رائحة العود تذكر بما مضى من زمن سوف يجيء كانت بعض الأعين تنداح يمينا ويسارا، وعيون اخرى تركب احلاما. قال المجنون : احترقت ذاكرتي : اتصورني سيد هذه الليلة. زفوني زفاق مطلق وانتظروا.

المجزرةُ الآن ابتدأتْ
اذكرُ ان قد جئتِ الى مرتفعات «الحاجب» كي تجديني
مُتَّسخا. قلتِ بعيد ياولدي أنتَ
ونارُكَ في صدري كافية للقتل، فكيف اراكْ ؟
أحسستُ بانك تخفين الدمعةَ
أحسستِ بأني اتحول ساحاتِ عراكْ
وتعانقنا اكثرَ من عشْر دقائق

وتحدثنا عن اخبارِ الاهل، عن العسْكرِ والأسلاكْ
لكنْ حين ارتسمتْ في عينيك البسمة ياأمي
وسَّعتُ مساحاتي، وأضعتُ القلب هناكْ
في زمن آخر يا أمي
كانت «سانية المنصوري» تنخل بالاطفالِ
بأحلام تتحركُ ماسحةً اعيننا بالزمن الموعودْ
وعلى نمش يركب سحنة «ميشيلين» انفتحت نافذةٌ في
القلب واخرى انغلقت اذ فصل البارودْ
بين ملامح ميشيلينَ وعيني
وأعاد الزمن الأعرج صفعته ثانيةً، لم ابكِ
ولكني اقرأ في عينيك صِبَايْ
فيصاحبني هم لم يدركه سِوَايْ
المجزرةُ الآن ابتدأتْ اذكرُ ان القتلى كانوا باعة تين شوكي
ولديهم احلامٌ أكبرُ مما يسع الجسد المشروخ وكانوا
حلاقين وشحاذين وصنَّاع حصيرْ
ثم انفتح الحفل وكان التوقيعُ وأكواب الشايْ
لكن حين تكررت الصفعةُ، كان القتلى
اطفالًا في سن الحلم امتلأت، بدفاترهم ارصفةٌ
ببقايا الاذرع والافخاذ امتأت حفَرْ
ثم انفتح الحفلُ وكان التوقيع وأكواب الشايْ
القاتل يا أمي يخرج من لعبته بالتوقيع على ورق ابيضْ
والمقتول يظل هو المقتولْ
فخذيني كي اقرأ في عينيك متاهاتي
ضُميني حتى لا يُفتح في ذاكرتي ثقبٌ
واعيدي لي سانيةَ المنصوري
علّي ابدأ يا أمي ترتيب سطوري!

المساءات وحدها لا تكفي أيها الزنبق
ما الذي يجعل ايدينا اشد عريا من المرآة
وأنت أيها اللارق المسافر في دمي ايها المفتش عن
اناث كي يفرخ. ليكن مذاقك اشهى كي اقول
الارض تنخل بالرجال. الطيبين. المساءات وحدها لا

تكفي وعاما بعد عام اكتشف الفراغ القاتل في
ضحكة امرأة لبستها وخلعت ذراعي.

حاورتني من الجبس، لم تقترب من عيوني الا قليلا
وأنكرها البحرُ حين اشتهتْ ان تكون لامواجه لغة الياسمينْ
كيفَ لي أن اقاومَ هذا الصهيلَ
وبعضُ الحديث هوى لا يُبينْ
كيف لي والمساءات ما وهبتْ غير بعض الحبوب من البُنِّ
ثم استوتْ كي تجرب في جسدي لهجات الحنينَ
إنني شيق
والقطاراتُ شيقة حين تجعل من جسدي سكة
أيها البحر قل لي متى يركب الموج عضبته ؟
والطيور التي رفعت بالمناقير بعض الحجارة أيان تأتي ؟
أنا مترع بالمساءات
لم اختطف قبلة، ثم حين اختطت كشفت وعاتبني الـ
أصدقاء القدامى، وانكرني ليلة العيد وجهي
أنا مترع بالصهيل
وطني وطني أيها الأزرق المكتوي بالنبوءة هبهم قليلا من العشق
كي يعرفوا أن وجهي بريئ
انني حين قربت من وجنتيك فمي
كنت ابحثُ عن سبب لأضيءَ
قل لهم انني مذ فتحتُ فمي باكياً واستشارُوا الفقيهَ ليسجُنني
لحظة في «ابن حسُّون» كنتُ غريبا ومحتفنا بالبكاءْ
وإذْ عاقبوني ببلع الزعانف أدركت ان العقوبة أكبر مما فعلتُ
وأنيَ متهم بالبراءة والكبرياء
وطني وطني ايها الأزرق المكتوي بالنبوءة ان الطريق
تقود الى السجن من صار اكبر من ان تحيط به في ابن حسونَ
نافذةُ، والزعانفَ أثمنُ في فترات الغلاء

قال المجنون خبأتني البراعات وناشدني بعض معارفي ان اكشف عن عورتي فخلعت قميصي ومئزري .. كان الليل رهيبا. ولدي من الاسرار ما لا يفضحه خلع قميص ومئزر. قالوا زدنا توضيحا، فأشرت الى البحر وقلت : عار هو البحر ولكنني اتجسد في

الكائن حتى لا يركبكم موجي. واقوم على خدمة
يابسة لايقطنها الا اليابس. اني مركبة تعشق سيدة
تمتطي شفرة مينورا وتجعل المرء جديدا كل صباح

.. نشروا جسدي وانتدبوا البرق رسولا
اني خادمكم. أغسل ما يعلق بالبذلات الزرقاء من العرق الآسن
أكتبُ عنكم ما يدفعني صوبَ البرقانِ
وأقسم إن شهادتكم اعلى
ولديكم من طيبوبةَ آدم ما لا يملكه الشعراءُ
أنا خادمكم. لكن هل ضاقتْ كل الدنيا
ليكون نصيبي منها مرسومُ رثاء ؟
يا شكدالي اكتب انك آتٍ كي تفقدَ لحمكَ في ،زَمَنٍ يسمن
فيه الموتى من أسفل مثل البصل اكتب انك مقطوف من شجرٍ
وادخل طقس الفقراءْ
تلك المائدة امتدت ذات صباح، أذكر، كانت بعض شعيرات
بين الانف وأعلى الشفة العليا قد بدأت تسودُّ، وكنا
نقرا أشياءً لا ندرك معناها
حين امتدت تلكَ المائدة اكتض الشارع بالارجل والأيدي
وارتفعت اصواتٌ تزعم ان جاء زمان لا يلدغْ
مرتْ ساعات، ثم انكشفت تلك اللعبة عن تغيير في
مائدة الشطرنج : انتحر الفارس، وانتصبت جدران القلعةِ
سامقة تبتلع البيدق تلو البيدق
كان أن احتضن الفارس سيدة الشطرنج فغطته بخصلتها
كي يلعب دورَ القلعة يومين واياما أخرى دور الاحمقْ
ياشكدالي اكتب واكتب واكتبْ
وحَدَك والسيجارةَ والورقَ الابيضَ والاقلامْ
ياشكدالي اكتب واكتب واكتبْ
وحدك والشارعُ في قلبك والايامْ
قد تأتيك امرأةٌ، وهبتك الأطفال، تهزك من بين الأوراق
ولا تقرأها، تبحث فيك عن الانسان ولا تصنعه، تنزع من
بين السبابة والوسطى عقب السيجارة كي تشعل اخرى في قلبك
تأتيك على صهوة حلم اكبر منك ومن عالمك المصنوع من
الكلمات، وتأتيك فلا تمنحها غير صنيع يديها

بطلا من ورق، احلاما من ورق
هل تضمن ألا تبحث عن فرس آخر لا تشغله احزان الدنيا
عن فرس او سم منك وأوسع وجها اذ يضحك
عن رجل مصنوع خصيصا للتهريج
يخرج من أحلام الملحون ليلقي بين يديها بالخلخال وبالدمليج
ياشكدالي اكتب واكتب واكتب
انت الرجل الكاشف عن عورته بالحرف المتوهج كالجمرة
ماذا يُعجب كلَّ نساء الدنيا من شخص ضيع عمرهُ
كي يلهث بين الوطن الأوسخ والوطن الأنقى.

للزنابق ايضا أنيابُها

سيدتي زنبقة نبتت في كتف النهر. وكان النهر وسيما يدرع
أبهة الوطن العاشق صورته في الماء، وللنهر حكايات ترويها
الجدات، وسيدتي تملك احلاما تتوزع بين ركوب النهر
الى حيث يخالطه الملح، وجني الهمسات الشبقية حتى
تأخذ شكلا يتلاءم والجسد الفارع مثل نخيل الريصاني وسيدتي
الناعسةُ الطرف تغادر مخدعها نحو الهمسات الأكثر وخزا للفرس
الرابض في اشهى معتقلات الصدر، لها النهر وما فيه
لها الارض ومن فيها. وأنا. أنا لي جسد يتقدم نحو المجرى
متشحا بالصبر
نكتشف النهر وتنفيه، نكتشف الارض قليلا كي تلغيها
يتمسك في ثورت ه النهر بعميق المجرى، او يسمق مأخوذا
بالفيضان، وسيدتي ، زنبقة تعلو تعلو حتى تنسى احزان النهر

باريس ايتها الحمقاء ما للسين حين يشقك نصين
يمشي بهدوء لا تعرفه الطرقات. وما للعناق وسط
الدروب لا يجمع الصبيان. ايتها المحشوة بالعطر
والمرئي. من قال ان قلق العصر اصابك أخطأ.
المخطئ الاكبر من قال :

voici le soir charmant, Ami du Criminel
Il vient comme un complice, à pas de Coup, le ciel
Se ferme lentement comme une grande alcove
Et l'homme impatient se change en bête fauve

على طول الطريق الممتدة بين برج ايفل ومونبنار كان الفتيان الشقر يخاصرون الفتيات، وصديقي حين شاء ان يغرس في القلب مدية قال مازحا : لنصرخ «حطوا الدجاج لمواليه» وضحكت باباريس موزعا بين الدار البيضاء وبينك. ثم بعد اسبوع لم نعد نركب المترو. وكان المشي على الاقدام افضل.

هو النهر استشار همومه قبل المجيء وغازل الادغال،
فانكفأت تعُب الرمل، والشجر المعرض للسقوط. النهر اضرب
عن مسارٍ لا يفجر حزنه البني، نهر يكشف الآن الخيانة
في انفصال الغصن عن شجر يقاوم حالة الطقس المؤقت
حاور المدن العريقة في تلقي الصفع، فانتفضت :

لهذا الصيف لون الرعب قل للصيف ما خفناك
نشكو البرد ، نشكو الجوع نشكو الصفع عاهدناك
هذا الرأس لن يحنى ودمع العين لن ينساك

نهر عندما استفتى الهموم تزينت في البيت سيدتي
اثقبيني واثقبيني في انتظار حرابهم، هزي علي الردف
ان نوابغ الفول المدمس آثروا التوقيع فوق الردف رفعا
للمعاناة، انتهيت اليك بعد مجاعة أطعمتها مدنا تنوء بها
الدواخل، وانتهيت اليك بعد رحيل هذا الفعل نحو لغاته الأولى
وبعد البدء بالتفتيش في الرئتين، بعد تجول الخازرق في
المصران، بعد البعد جئتك رافعا حفري فعضتني، رأيت
بكارة تفتض في رمل الجليل، رأيت فرعون، استقام له
النعاس، تأهبي يا أنت كي تستقبلي من يرفع الاسعار
في سوق الجسد.

في رحلتنا من مدريد الى باريس، رافقتنا فتاة غجرية اذكر ان اسمها خونيتا كانت من مواليد بورجوس. تملك عينين بنيتين، ورحبتنا ان نقبل الضيافة ثم التعرف بالايماء وحركات الاصابع. علمناها كيف تقول سلاما. وعلمتنا كيف نقول ADIOS. وحين ودعناها بكت هل ما تزال تخير ايها العالم بعد ان قال نادل في غرناطة حين طلبنا قهوة سوداء

BANDIDOS. هل ما تزال تخير ايها العالم الغرناطي
يبصق في وجوهنا. وبنات بورجوس يعشقن السمرة !
سلاما يالوركا العظيم.

سيدتي زنبقة نبتت في كنف النهر، وكان النهر طريقا تصل
الحلم العابق بالمنعطفات، وللنهر طريق لا تخفيها المنعطفات.
وسيدتي في اللحظات الأولى من صحو عصافير اللحم اختارت
ان تلزم في الرحلة يمناها، فانعطف النهر يسارا واقتفدني.
وجدتني اكتب شيئا عن وطن يبدأ رحلته من كامب ديفيد
فانتصبت سيدتي مثل قضيب غلام واكتشفت في جسدي غرة
كانت تعرف ان الاعين تلهث خلفي، تتعثر
وأنا أكتب للوطن المحبوب قصيده
صارت تعرف ان حياتي اقصر مما تتصور
وغدا قد يأتيها من يحمل في العينين جريده.
كانت تعرف ان الوطن الفاتن يسكنني
يتجول في كرياتي الزرقاء
صارت تعرف ان دخان الشوق الطالع من رئتي
يجعل عينيها حزءا من وطني
يتحرك في قنوات الصدر فيوجعني
قلت التحقي بالنهر ايا جامحةَ النهدين. واسلمت النهر
جبين مريد لم يثقبه الضوء سوى بضع ثوان كي
يعرف قانون اللعبة اكثر من حلاج
سيدتي. ضميني أورق في عيني الحب وازهر
ضميني نبت الشوق بقلبي احمر احمر
ان كنت تحبين سكوتي
فانا أعشق صمتك اكثر !
لكن.. كيف اذن حين سما النهر الى العتبات الاكثر نضجا
قلت جبيني احلى من ان يملاه السوقة رعبا
وهبطت السلم رافعة اذيال القفطان
هل عندك اغوار لم ينبت فيها يوما زهر البركان ؟
لم تمسسها يوما قدم النهر ولا استوطن بعض مخابئها انسان ؟
باريس. يا من تخرج الجنود منك باعة تين شوكي.
اذكر انا بحثنا عن جدران سجن الباستيل في كل

مكان. وحين سألنا شرطيا ضحك حتى كاد يسقط. ثم قال : مر قرن من الزمن على اندثار الجدران ولكن لاباس. ابحثوا هناك في هذا الدرج المؤدي الى الميترو بقية من رائحة الباستيل. باريس ايتها القاتلة المقتولة. لم اجئ باحثا عن الباستيل. ولكني اديت ثمن التذكرة ذاهبا وايابا بالقطار من وطني اليك لابحث عن مقهى نقش رامبو على طاولة فيه اسمه. واخجل عن اسأل عن المقهى حتى لا يضحك منـــي شرطـــي أو دركـــي.

صباح جمعت اثواني واعددت الحقائب للسفرْ
بكتْ من شدة الحزن الحبيبة، عاهدتني
ان تخط الي آلاف الرسائلْ
عن الشوقِ الذي يسكن أعماق المفاصلْ
وَعن وهَج الدموع متى استحالت خنجرا في العينْ
رحلتُ، ولم أدر عنقي
سيُقبل وجهها القمحيُّ ممتطياً رسالتها الي
فلما غربتني البيدُ عنها
واستحال الشوقُ منفى
قضيتُ الصيف انتظر البريدْ
وما كتبتْ اليَّ حبيبتي حرفا
ياشكدالي، سينهمر الفجر على نافذة مثقلة بيراعات لم تشحذْ
تأتي حيوانات اخرى بزعانف مشبعة احزانا، تأكل بقلا
وتقوم الساعة حتى يشهد حُوديٌّ ما خبأه النورس عن صاحبه
أتقدم محلولا كشجيرات، ازجر بعض عناكبكم زجر الحاجب
ما اقتربت سيدة مني الا اقتسمتها الرعشات،
فجئني يانورس بالاجمل منهن، وجئني بالعربات انا الفاتك في وحدته،
وأنا المثقل بالجيرانيوم، اسافر نحو مدائن لم تشهد الا بالزور،
اكوكبها، والف على البحر زعانف خيطت جلبابا.
يامقطوع الذيل تعال وحاورني
مثل صديق غاب غدا فاندلقت رائحة الكسحان على نافذة
لم تفتحها الا عاشقة،
حدثني عن زمن يخرج من ثقب الابرة محشوا بيراعات اخرى،

بهصيل آخر
وادخل في جسدي.
وتعالوا يا بحارة هذا الزمن الاعرج لموني، وخذوني معكم
ما عادت لي تلك الرغبة في ان ارثيكم
اني اشعر اني المرثي
وها انتم تنتقلون على عجل كمن اكتشفوا ان قطارا لا يمكن ان يتوقف اكثر من خمس دقائق،
لموني وانتشروا
وحين اتيت من سفرك
يغالبك العياء، فنسحب الخطو المماليء
تقافز مَن شقوق البيت صوت الطفل
ـــ اتذكرُ ليلة السفر المفاجيء
لقد ثقبت يداك غشاء منع الحملْ !
تقف الآن غريبا ياشكدالي
ووحيدا تملك جمجمة لا يملأها الا الدمع المالح
من منا يوقف هذا الزرزر النائح ؟
حين عشقت الوطن النابت في عيني سلطانه
وتدلت اغصان القلب العامر بالطيبوبة
انكر وجهَك وجهُ المحبوبة !
لا تتمزق ياشكدالي.
أولم تعرف اثناء رحيلك من مدريد الى باريس
ان امرأة من بورجوس بكت،
ان صديقك رامبو وجد العالم في الادغال،
وان النابت في وحدته لوركا، ظل يطارد بين شوراع غرناطة،
لا تتمزق، قلبك لا يقدر ان يفرغ زاوية لا مرأة
قلبك مملوء بالوطن الباحث عمن يعشقه.. قل :

Je veux dormir un instant

Un instant, une minute, un siècle

Mais que tous sachent bien que je ne suis pas mort

Qu'il y a sur mes lèvres une étable d'or

Que je suis le petit ami du vent d'ouest

Que je suis l'ombre immense de mes larmes

يذكر او لا يذكر هذا الشكدالي
ان امرأة قالت هيا امنحني وجهك ساعة يغفو نوار الشمس،
وساعة تعقد اجفان الصبية أحلامُ الغول المتوسد سالف هينه
اني مائدة الله الممدودة للصابر من مخلوقاته
انا حتى لو منحوني الشمس فلا شيء يزهّدني في المحبوب
كتمتُ كنوزي كي افتحها ساعة يأتيني
وأطلتُ ظفائر شعري حتى يتوسدها
ما أتعسني حين أفتش كل الدنيا
كي اعثر في القلب على محبوب اعمى !
وانتفض الشكدالي قليلا. كانت تلك الالفاظ كبيرة
لم يسمع منها واحدة منذ اتي هذا العالم ذات مساء
ولأن بني شكدال ارتحلوا
عوضهم بامرأة تعجن لفظا وبكاء
سألوه عن الممتلكات
عن مهنة والده. وهل احترف الوالد يوما تطليق الزوجات
قالت سلطانة يوم العرس ايادلدل جئني في اللام وجئني منصبا،
فانتصب الدلدل. قلنا ياعشق خذ لك من حبات
الحرمل قبضة كف، واملأ بالشبة قب الجلبال
وانتصب الدلدل مغتاظا
قالت جئني في الهمزة وانفضني اتناثرْ
قلنا ياعاشق لا تدخل حتى تدهن بالغاسول
وانتصب الدلدل مغتاظا
وانتفضت سلطانة اذ طال رفيف العين اليسرى
قالت : يادلدل ماذا تحمل تحت حزامك
قال : قليلا من شعر سلاطين العشاق، وبعض فتيت من
اقوالك يامولاتي. قلنا ياسلطانة هُبي من جهة الشرق
ولا تدعي الفاسق يدخل حتى يغطس جسمك في الموجة سبعا.
قالت : هبني يادلدل نصف نهار، وارحل في جسدي كل نهار
فانتفض الشكدالي قليلا يوم العرس. وطار.

أبو الخشي يسترد عينيه

لمسك الليل بعض غباوة الشعراء :

حدثني ابو المخشي حين تخاصرت اعناقنا عند اندلاق الطيب من بوابة المبنى
واردف : كم يكون العمر حين يغادر الفتيان هذا القبو ؟
كان الشارع الممتد يبدأ عادة من لفظة نبتت لها قدمان
أيتها المسافة بين جسمي والفراغ، أكنت اقرب اذ هممت اقول ياوطني اتئد.
عبق المكان بطفلة سرقوا اباها يوم كانوا يدرعون الحي بحثا عن لحى الفتيان.
كانت تستمد من الفراش براءة
وتقول : يا أبت استفقت فلم اجدك معي !
تنهد صاحبي، وتفتحت عين وراء رقابنا،
مسحته، ثم هوت الى العين. أردف :
هل يكون حضورنا جزءا من المشهد ؟
ادرت عن الحمام حديثنا وسكت اذ نشرت سوالفها الهموم علي.
غطاني بمعطفه ابو المخشي حتى لا يباغتني البكاء وضمني.
هل كنت ساعة حك لحيته المساء معي ؟
لقد قلت البداية هذه. وبدأت. فاختطفوا اللسان واطفأوا عيني،
هات الحبر ياولدي، وهات الصبر،
ولننزل الى الاسواق مختصرين حزن الارض في لغة اليمام، وضمني
هذا انفجار البحر، قلت، وهذه سمة الطيور المشرئبة للمفاجئ
عادت العين الغريبة كي تهز قفاي،
واكتمل الحوار على رصيف غمامة ثقبت أبا المخشي وانحرفت
تشد حواجبي نحو امتداد البحر

كان المطعم الجامعي افضل فرصة للمزاح. وعلى الجدران المحيطة بالساحة التي تقود اليه كانت المناشير حمراء وصفراء وبيضاء. وكان النقاش والعراك والدم. وصديقي التركي يبحث عن شرموطة تتقن لعبة المصاقرة على السرير وكان الدم والدويرات. وابن هشام يناقش الفرق بين سي وسوف.. وكان .. وكان.. لم يتغير شيء. غير اننا صرنا اكثر نضجا واشد احترافا للهموم.

وأوقفني على ريق المسا عبد اللطيف يخط بالطبشور خارطة ويشبك خلف معطفه اليدين
كمن حبته كآبة قلق اليمام البحر يسكن صدرك المثقوب يا عبد اللطيف،
وانت تدخل طقسك الباكي
وتبصر في الاحبة مخبرين

وتستعير من النزيف لغاته
والبحر اول من سيشهد ان الصدر دالية لهاث الخيل بعض فروعها،
والبحر آخر من يصدق لعبة الانشاء والالقاء..
كان صديقك السهر الذي يهب العيون براءة الاطفال،
حتى حين أجلسك السهاد على امتداد جبينه،
حتى وانت تغادر الجسد الممزق حاملا نعليك،
متخذا طيور البحر بوصلة،
وحتى اذ رسمت على الجبين كآبة الشجر المقرفص في انتظار غمامة كنت احتمال مجيئها تلك اليمامة ذكـــرتني باغتيال احبتي وأشار باليسرى ابو الخشي. كان الأفق محتميا بمعطفه، وبعض حمائم السهب المجاور تقتفي خطو الاشعة
(كان موعدنا المساء، حلقت ذقني وانحدرت اليك مثل غمامة.
أولم يجد يوم انتقال الأهل توقيتا سوى ذاك المساء.
عرفت حين همست : فليكن اللقاء كتابة.
ان الكتابة لن تكون الي)
ايه البحر اصغر يا ابا الخشي مما نشتهي :
وطن يعذب عاشقيه،
وبعض من نهوى سئمن حديثنا المعجون بالوطن المكابر،
فانحدرن الى الشوارع يكتشفن تمايزالأجساد
هذي خطوة لابد نخطوها
وأردف ـــ حين باغتني اندلاق من جنون الكركدان
شممت صورة قاتلي
هل ما تزال قرونه تعلو ؟
ـــ علت وابيض منها المفرقان.
انا اشتياقك للنطاح فخذ جبيني ايها الموسوم بالفتك المؤجل.
كان يغمد دمعة ما جاوزت بعد الجبين، وضمني !

لم تكن ايموزار بعيدة. لكننا كلما احسسنا بالموت البطيء كنا نسرق الخطو اليها، فتضمنا، تمنحنا الاحساس بأن الزمن الهارب قد يقلل من سرعته أي ريح عبثت بتلك الايام حين تخرجنا حفاة عراة لا نملك الا الرأس المسكون بالاحرف والقلب العامر بالحلم.. واقتصتنا وظائف شتى ومناطق عديدة لم تذكر في خارطة الوطن. أي ريح وزعتنا فلم نعد نحتفظ من ملامح بعضنا الا بما تجود به ذاكرة مثقوبة ؟

هنا وقفت جهانُ على امتداد سحابة
كان الحنين مباغتا حين استعارت مشيتي
واستنفرت خيلا تمارس داخلي قيلولة الفرسان.
ايتها الفراشة زودينى باندلاق البحر كي اهب الكتابة شكلها الانقى
جهانُ البحر غطاني، فتحت كتابه وقرأتُ :
هذا ظلك الممتد من علك الهموم الى انفجار كتابة اخرى. جهانُ
العالم الموسوم بالفرح البدائي اكتشفت صهيله، يتها الفراشة
علميني كيف امتشق ابتسام الفحل ماسحة رصيف القلب من بصمات هذا المارد المدعو حزنا.
خلفنا المبنى يهيئ وجبة اخرى واحباني اختفوا. لعقوا الوجوه بنظرة وسعت حنين الخيل،
لو أني ائمت القلب ساعة لوحوا، هل كان ينغل بالخيول ؟
تثاءبي يتها المسافة بين جسمي والفراغ، اليوم اضبط حاملا صور العصاة،
اليوم تبدأ رحلتي صوب انفجار آبق
واليوم اكتشف اكتشاف يمامة وقفت تثير بصوتها شبق البنادق،
يامسافة، ياخيول، ويا انفجاري بالصهيل وددت لو احييت للاهل احتفالا تهدم الشيخات فيه يرقصين السقف
لو اني اختزنت البرق في العيطات والملحون..
هذا عرسكم
جسد يغادر لحمه مستأنسا بالجمر،
اشياء تطل من الجبين مدينة شمت قليلا ابطها..
لو كان .... هذا عرسكم
تقف الحجار كي تغازل بعضها، تقفون،
احشى بالمداد وانتشي فرحا يفتش عن لغات يرتديها
خذ جبيني يا أبا المخشي واثبت قبل تحصدك البنادق،
انهم آتون من بوابة المبنى

وتقافزنا حين دوهم المطعم الجامعي، وانطفأت كل المصابيح. صرخت فتاة شرقية امسكت من سالفها الطويل. سيبوني سيبوني فتعالت ضحكاتهم. قال احدهم وكان غليظ القفا طويلا : باغية تدوحيني بكلام المسلسلات. يافاس حيا الله ارضك من ثرى.. كل الاسماء تضيع. ولكن ابا المخشي يتناسخ في جسدي بعينين زاستعتين وقصائد لم تكتب بعد.

أفقت على سعال سحابة، واشتقت اركض ناسفا صدري
«ندى لمي الغسيل، ابوك منشغل برثق فتوقة»
وندى استحالت غيمة
اخطو، وتسرقني الوجوه من الخطى.
استل انشادا واركب كي اسمي فتنة بعض اكتئاباتي
فيغدر في الزحاف، يشدني نحو انفعال حاهز.
تلك الصبية تمطتي ارق الضفادع، كيف اجعل ضفدعا لغتي،
وكيف اجر بسمة صاحبي وسط الكتابة كي تمارس لكزها
وافقت. ها عبد اللطيف اكتظ باهذيان. تلك بداية المعراج :
تكتب طفلة ان انفجارا للملاح يشرئب وتختفي
وجهان تشنق دمية، وتقول : بابا، علبة الكبريت افضل
انت شيقة الهموم حبيبتي
ولك انفجار لم تسعه الابجدية.
ندى تحتل يميني
وأنا اتقدم نحوك يا وطني
أرفع مبتسما كناش همومي
وعلى ظهر سلحفاة اجتاز حدود النار
وجهان يساري

جاءوك على متن طيور وقفوا
كانوا أصنافا : منهم من يبست بعض نوابضه
والصنف الثاني ظل طريا. قال اليابس منتفخَ الشدقينْ :
(هذا زمن الحكة !
ترسلنا بيروت الى القدس، وترسلنا القدس الى الفسطاط، وترسلنا
الفسطاط الى نيويورك
ليس مهما ان تبدأ رحلتنا من بيروت
أينمَ وجهنا اعيننا ثمة وجه يأخذ بعض معالمه من كعب
ديفيد وأخرى من حلم مكبوت)
ووقفت كبيرا ياشكدالي.. وقفت على خاصرة الريح. أشرتَ
اليهم بالرأس، وحين التفتوا :
كانت طرق اخرى تبدأ من مدن اخرى
وعلى مد العين ارتفعت بيروت بقامتها العربية
أكبر من حجم المأساة وأحلى من أن تذرف دمعا

ووقفت كبيرا ياشكدالي. وكان
تل الزعتر في كل مكان !
هل قتلوك الليلة ام قتلوك غدا ؟
أنت المتفرد بالشيق من نعرات الانسان
ياشكدالي المحروق الفخذين، المقسوم الى جزئين الـ
متورط في وحدته بالشفتين القاتل والمقتول العامر بالايمان
جاءوك وكان
تل الزعتر في كل مكان !

خذوني معكم أيها البحارة

لأن البحر يمنح ساعة للقلب ها جسدي ينز بكم
يغامزني الرذاذ فأنتشي. تلك المسافة ليس تفصل
عاشقا عن عاشق. وانا المحمل باشتعال رائع لليتم
اكتشف الصحابة في جنون الخيل او أرق المناره
عيون البحر عرتني
وحين كشفت علمني التحدث بالاشارة
ألا يانورس الشطآن سهرني لأرصد قامتي وسط ام
تهان عابر للطول، سهرني لابحث عن اناء لاحتواء
ملوحتي. أنا حامض، والبرق سافر بي
كأن الارض تطلع بي من الغثيان : أرسم وجهة وأقول
هذا البحر متكئ علي بمرفق
أي اتجاه غير أن نمشي معا صوب انفجار رائع للضوء
والاملاح ايها المصاغة من قضيب الند والجاوي
لك الدنيا مقابل ان يشاركني الرحيل حضورك القمحي
هذا الفصل مكتنز
وأنت بصحبتي تتوردين كحلمة مصت
أحبك. أنت من سيحدث الاصحاب عن موتي اعتيالا
حين تفرزني المياه، وأنت من يبكي. يكبر صورتي
ويشم اقمصتي. احبك انت فانبجسي

غص ياشكدالي في ايامك المنسية. غص كحليجي
يبحث عن الماس. وانتظر. كنت موعودا بالفرح وما
شعرت. وحين جاءك المخاض في الحمام خرجت

تعدو نحو قريش اخرى تبيع حيات العرق بالفرنك.
أتذكر ذلك الشيخ ذا الرجل الخشبية يوم حدق فيك مليا وقال لأمك : سيكون لهذا الفتى شأن واي شأن. ها انت تحمل ميراث قرون وقرون تبدأ من السوط لتنتهي بالكهرباء. ولا تنقصك الا امرأة كي تجعل العالم يمشي على قدميه !

من يطعمني لله
اعرفه، ذاك الوجه الطافح بالاحزان البدوية
هاهو يأتينا الليلة، تسرق وقع خطاه الجدران
يسقط فوق موائدنا
يختلس العشق المتورم فينا
يكوينا بالأيام المنسيه
ذاك الوجه الطافح بالاحزان البدوية.
كان الصمت هوايته المحبوبة
لكنا لم نسأل ماذا كان وراء الصمت
قالوا : سحرته امرأة واسعة لعينين
قالوا : احيانا تدخل غرفته جنيه
ذاك الرأس الراشح صوفا، والوجه عروقا
فتحينا العين رأيناه، حبونا ورأيناه، مشينا
غيرنا الانسان رأيناه. وما غادر موضعه في اقصى بن مسيك
ما ابتلعته الالفاظ المرشوشة بالند
ما اقتلعته الهزات الارضية
وتجنبناه مرارا، طاردناه مرارا،
وسخرنا من سمنته البنيه
من يطعمني لله
أعرفه مذ كنت ارتق ــ طفلا ــ احذية الأهل لديه
يسألني عن سر الحزن البائت في عيني
احاوره بالعض على الشفة السفلى
(حين تحول حزنك رفضا تكبر ياولدي تكبر، كالنخلة
تصبح، فأسا يقطع اشجار الصبار)
اعرفه .. أذكر يوم انهدمت في قلب مدينتنا الاسوار
غاب عن الدرب زمانا، فنسيناه

نسينا الرأس الراشح صوفا والوجه عروقا
وكبرنا .. مارسنا الحب علانية، وتزوجنا
صرنا نملك سيارات ومنازل رومية
ومشاغل أخرى يوميه
هاهو يأتينا الليلة من اغوار الزمن الغائب
ألوجه القمحي بلون السحب الشتوية
لكن البسمة ما فارقت الشفتين الزرقاوين
يأتيد الليلة، تحمله رجل خشبيه
يسقط فوق موائدنا، ويعرينا
كي نبصر افظع ما تبصره العينان :
أقزاما تسكن فينا

اخرج ياشكدالي من ايامك المنسية اخرج كخليجي وجد الماسة، واعترف. كنت موعودا بالفرح وادركته. وحين جاءك الهم من الجهات الأربع خرجت تعدو نحو قريش اخرى برجل خشبية، فانا هي تتبعك، متوردة كحلمة مصت، ولأنك الطفل العائد بالنار والمطر فسنكتب في ورق ما. كي يقرأه جيل ما في زمن ما. أن الشكدالي، وريث الأرجل الخشبية والعيون المسمولة. مزج المرأة بالوطن الكبير وكان، وكان، وكان.

كان الارض تطلع بي من الغثيان محترق وابحث عن حريق
سمني المنفى
وسم حضور أوجه من احب بداية الوسواس
فاحأني انفجار رائع : تقف الاناث على مداخل معطفي
وأقول : من منكن تشبه في السخاء جهان ؟
ومن منكن تملك ان تصدر للزنازن حبها علنا ؟
ومن منكن تربط خصرها بالموت ؟
فاجأني الحنين الى انهيار شيق : أنسل متشحا بطعم
جرادة تشوى، اشد الحرف من ادنيه كي ينقاد، للوطن الك
تابات : تراءى ليلة الاسواء وجه سعيدة، غطت بنصف
قميصها ارق الخيول، وكانت الجدران تبصق غيضها
خشبا، زجاجا، خبأ العمري بعض همومه في قطعة

الطبشور. الخشاب، زجاج، سوف ارحل قال.
وانلفتت بنا بعض الدروب. حجارة ودم
لماذا حين تفقد ثديها سيناء تكتشف العصي رؤوسنا ؟
ها انت ياعطار تدخل فاتحا في القلب غزة.

تستميل سحابة خضراء للسهر المؤرق. ترمي في موجها
كي تعبر القضبان، تخرج، ها شهود النفي مازالوا شهود النفي
هات الشاي، وليفتح لنا العمري نافذة على وطن احب صهيله
خشب، زجاج. والطريق تشدنا من ارنبات الأنف
تمنحنا البكاء وتلتوى
أنا حامض والبرق سافر بي
عليّ صلاة كل يمامة وسلامها، ما كنت اول من تحمض
في غياب حبيبه : كل الذين «تسعيدوا» و «تعومروا»
و«تكرينوا» هم اول «الحمضى»
وانت الواسع المكتظ بالاحباب ياقلبي. وأنت جريمتي !

يمد البحر ساعة انتشي رجليه يثقبني ويرحل ياجهان
كل الذين احبهم، عادوا.. ولكن كيف لم يعد الامان ؟

كنا عند صهيل الجرس الاول كل صباح نلصق اعيننا بالبا
ب الأكبر، عند صهيل الجرس الثاني نهمس : قد اخذوهم
اذكر أن قد سألوني عن أحبابي، قلت لهم :
أحبابي رسموني فوق جذوع النخل كتاب مراث
واعتصموا بنبوءات لا تخطئ

ها اني اذ ابكي يتوسطني فرح، فاكتشفوني
اتلبس بالفرح العالي كالقبضة في فاتح ماي
مالي حين انفتحت كازاخستان وآوتني، لبس البحر
جبيني، واتكأت بعض حمامات الكولخوز تذكرني بالوطن
الفاتن :/هدتني أنكم /وابتسمت بعض مناطق باختيار
كانت كازاخستان تهب على نزل الانهار السبعة حاملة
بعض نفائسها اذ اورق في جسدي عنبٌ. وتذليت عنا
قيد حنين. وطني ياباختيار وسيم، وأنا اقتل حين

اصرح بالعشق. وآه ما اروعني بين العشاق المحترقين
وما اجمل فتحات الخنجر ني ظهري اذ انثاءب او
تفتح مصراعي حمامات الكولخوز !

دوريا أوترا. هل عاد دانيار من رحلته نحو الشوق ايها العزيز ايتاتوف لا وقت للتعازي. فسلالة الانسان لن تنقرض. والعربات التي ظلت تحمل القش تمتلئ اليوم بتفاح آلماآتا. لا وقت للتعازي. وانت ايها المرافق الوسيم ما كارنكو. لماذا حين ودعناك لبثت واقفا وقد ملأ البكاء جفنيك سنلتقي، سنلتقي. وستذكرنا كلما تفقدت شجيرات الفتاح التي غرسناها اما نحن. فسوف نظل نحمل في القلب اروع صورة للانسان حتى نتمكن من صنع الانسان.

أخاف اقاتل الاشجار أو أرث انبهار صبية
لم تكثرت لجموح فتنتها العيون./مساء ودعني وأطرق
لم اقل شيئا، ولكني اتكأت على جبيني يشتكي
واشتقت امضع ساعة مما تختر من أماسي الوصل
اني مترع بالكائنات، ولي انشطار يستمر دقيقة في
اليوم : اخرج فاتحا في الصدر غزة
فاتحا تجويفة النصل المقدس للاشعة واليمام المحتمي
بسرادق من مرثيات العصر
اني مترع بألذ فاكهة : جنوني
ايها البهو الذي يرفو الكتابة بالنشيج ويستضيف نبوءتي
كن حافلا بالفوهات، مزاحما زمن الكتابة بالمقاس وجرني
صوب اندلاق التمسْ منك النزوع
كبرت تضاريسي ولكن الدموع هي الدموع
اني الصدى وبروزه الوحشي عبر الصخر والفجوات، امتهن
المشاكس في انتظار ايابهم. وأمر مر سحابة فوق انفجا
راتي كأن يدا تسل دواخلي مني لتمنحها اندلاقا لا حدود
تحده. وأنا تخيط الجفن مني بالسحاب
هلم ياوسواس، ياخناس
عاشرني، وجدد صورتي بالملح، ليته تبادلت معك الهراش

عيونهم، أو ضاجعوك دقيقة في اليوم. هذي جيوشي
أيها الوسواس، فيكن انفجارك ساخنا
مثل اشتهاء حبيبة
ولتستفز الطير واللبلاب محتدما برائحة الفراش المكتوي
هذي جيوشي فاقترب
ولتدخل الساحات ممتطيا بها طعم الدخان وناشرا
ملح المعادن، مثل مجدوب يرابط في عباءته الحمام
وأشد فتكا فليكن حد الكلام.